الفصـــل الأول

تاريـخ فـــن الفسـيفســاء

A History of Mosaics

1- تعريف الفسيفساء:

يعرف الفسيفساء بأنه فن زخرفة سطح ما - حوائط أو أرضيات - برسومات لايستخدم فيها لون ولا فرشاه ، بل تستخدم قطع صغيرة من خامات ملونة تجمع الى جوار بعضها بالأسلوب المباشر أو غير المباشر لتكون فى النهاية التصميم المطلوب .

هذه القطع قد تصنع من خامات طبيعية : كالحصى والزلط والحجر والرخام الطبيعى. أو من خامات صناعية : كالزجاج والفخار والخزف . واللون عبارة عن شوائب طبيعية ملونة فى الحجر الطبيعى، أو أكاسيد ألوان مضافة أثناء عمليات الصناعة فى الخامات الصناعية.

أما التصميم فقد يكون رسما هندسيا أو نباتيا أو تصوير يمثل موضوعات دينية أو دنيوية أو أساطير خرافية.[1]

---

(1) Osborn, H.,: The oxford companion to art . Oxford university press. 1987. p. 742.

Mayer, R. The artist's hand book of materials and techniques. New York 1970. p.375.

Heid, A. and M. Gealt: Looking at art.

A visitor's guide to museum collection . New York and London. 1983, p.83.

محمد كمال صدقى : معجم المصطلحات الأثرية . كلية الآداب ، جامعة الملك سعود . الرياض ، 1988م ، ص 154.

2- موقع الفسيفساء بين فنون التصوير :

مما لاشك فيه أن فى الفسيفساء استخدم فى زخرفة الأرضيات والجدران فى العمائر المدنية والدينية، منذ أقدم العصور، وحتى أحدثها ، حيث مازال هذا الفن يستخدم فى تزيين النافورات ، والنصب التذكارية ، وواجهات العمائر ، ومداخل النوادى ، ومحطات المترو وغيرها حتى يومنا هذا .

وأساليب تنفيذ الفسيفساء وخاماته تختلف عن أساليب تنفيذ وخامات الأنواع الأخرى من فنون التصوير والتى نذكر منها – على سبيل المثال وليس الحصر – مايلى :

1- **التصوير المائى :** ويعتمد هذا النوع من التصوير على الماء كوسيط لاذابة الألوان المستخدمة فى التصوير ، وربما سمى من أجل ذلك " التصوير المائى ".

وينفذ هذا النوع من أنواع التصوير على الورق ، والعاج ، والخشب، والزجاج وغيرها من أسطح التصوير.

2- **التصوير بالأفرسكو :** ويعتمد هذا النوع من التصوير على خلط الألوان المائية مع وسيط من عجينة الجير بنسبة قليلة أو ماء الجير ، حتى لاتؤثر على قوة اللون ، ويتم التصوير بهذه الألوان على أرضية من ملاط جيرى قبل جفافه وذلك حتى يتغلغل اللون داخل الملاط أثناء جفافه.

وشاع تنفيذ هذا النوع من أنواع التصوير على الجدران .

3- **التصوير بالتمبرا :** يعتمد هذا النوع من التصوير على خلط الألوان المائية مع وسيط من مادة لاصقة ، مثل : الصمغ العربى و الغراء الحيوانى ، أو زلال البيض .

وينفذ هذا النوع من التصوير على أرضيات من الورق ، أو الخشب ، أو الحوائط التى يتم تجهيزها بطبقة من البطانة والضهارة للتصوير عليها.

مما سبق يتضح أن أنواع التصوير الثلاثة السابق ذكرها تعتمد فى الأصل على الألوان المائية ، وتختلف عن بعضها فى الوسيط الذى يضاف الى اللون .

4- **التصوير بالشمع :** هذا النوع من التصوير يعتمد على استخدام الشمع كوسيط، مع أكاسيد الالوان، وذلك بدلا من الماء فى التصوير المائى، وزلال البيض فى التصوير بالتمبرا ، وماء الجير فى التصوير بالافرسكو ، أو الزيت فىالتصوير الزيتى .

وينفذ هذا النوع من التصوير على الخشب، والزجاج ، والكرتوناج .

5- **التصوير الزيتى :** يعتمد هذا النوع من التصوير على استخدام الزيت القابل للجفاف ، كوسيط حامل للمادة الملونة .

وينفذ التصوير الزيتى على أنواع كثيرةمن الأسطح المعدة للرسم عليها، واشهر أنواعها :" الكانفاس " كما ينفذ على عديد من الأسطح الأخرى مثل: الخشب أو المعادن أو ورق الكرتون .

أما التصوير بالفسيفساء: وكما سبق الذكر يعتمد على قطع من خامات طبيعية تأخذ أشكالا مختلفة منها : المثلث والمربع والمخمس والمثمن والمستطيل ... الخ . وقد تكون هذه الخامات ملونة طبيعيا ، مثل: الرخام . أو

تكون ملونة صناعيا ، كما يحدث عند تلوين قطع الزجاج أو الخزف أو الأزمالدو.

وقطع هذه الخامات تجمع وتنظم مع بعضها طبقا لتصميم مسبق أو تصميم ينفذ مباشرة على الجدران أو الأرضيات قبل بدء تنفيذ الفسيفساء.

من هذا المنطلق يرى بعض العلماء أن الفسيفساء ليس نوعا من أنواع التصوير، لأنه لايعتمد علىاللون عند تنفيذه ، بل يعتمد على الخامة الطبيعية أو المصنعة ، كما سبق الذكر . والبعض الآخر يرى أن التصوير بالفسيفساء واحد من أهم أنواع التصوير التى استخدمت منذ اقدم العصور لزخرفة الجدران والأرضيات ، بلوحات فنية جميلة ، قاومت عوامل التلف ، وظلت باقية حتى الآن ، لتقوم دليلا على أن الفسيفساء فن عبر مثله ، مثل كل الفنون الأخرى عن موضوعات شخصية ، ودينية ، ومدنية ، وترفيهية ، كما سيأتى ذكره بعد ذلك على الرغم من عدم وجود مادة لونية ، أو وسيط حامل للألوان كما فى أنواع فنون التصوير الأخرى . إلا أن هذا لاينفى وجود اللون فى قطع الفسيفساء الملونة ، ووجود وسيط حامل لهذه القطع ، وهو المادة اللاصقة ، سواء كانت مون طين أو جبس أو جير أو أسمنت ، أو حتى غراء أو صمغ عربى أو قار.

3- تاريخ فن الفسيفساء:

وقد عرفت الفسيفساء منذ أقدم العصور ، خاصة فى العراق، حيث عثر على أقدم أدله مادية لفن الفسيفساء الجدارية ترجع الى العصر السومرى (5000 سنة قبل الميلاد) فى مدينة الوركاء جنوب العراق. حيث زينت واجهة معبد (أنين) بفسيفساء على هيئة مخروطات طينية محروقة غرست

فى الجدار المصنوع من الطين حتى القاعدة التى تركت ظاهرة للعين وقد طليت ببطانة ملونة حمراء أو سوداء. [1] انظر الصورة رقم (1)

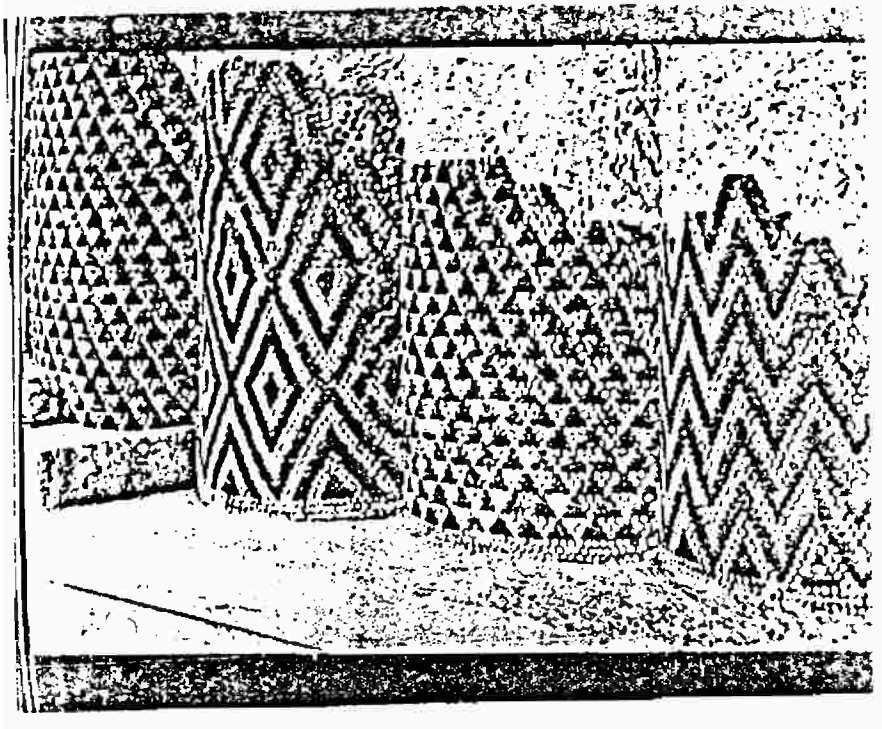

صورة رقم (1) توضح

جزء من فسيفساء فخارية ترجع الىالعصر السومرى بالعراق

---

(1) مصطفى نور الدين : أثر الخامسة ووسائل اخراجها فى أعمال التصوير الحائطى بالفسيفساء، رسالة ماجستير . كلية الفنون التطبيقة ، 1980، ص 3.
محمد أحمد حسين : التصوير الجدارى ودوره فى المجتمع المصرى المعاصر، رسالة دكتوراه ، كلية الفنون التطبيقية ، 1982، ص 26.

وفى شمال اليونان عثر علـى مجموعـة مـن الفسيفسـاء الأرضيـة فـى مدينة أولينث (Olynthos) فى مقدونيا .. والتى يرجع عهدها إلى سنة 348 ق.م، حيث رصفت الأرضيات فى المقابر وفى المبانى ا لأخرى بزلـط علـى حالته الطبيعية غير منتظم الشكل وألوانـه طبيعيـة أبيض واسـود رتبت فـى أشكال تمثل موضوعات ميثولوجية (Mythological sub.) واشكال خرافيـة (Satyrs) وحوريات (Nymphs) ومشاهد من هوميروس (Homer). [1]

وفى الأسكندرية عثر على لوحات فسيفسـاء ترجـع الـى القرن الأول قبل الميلاد، محفوظة بالمتحف اليونانى الرومانى بالأسكندرية . [2]

أما فى روما فقد شاع استخدام الفسيفساء حيـث غـزت الفسيفسـاء منـذ بداية القرن الرابع الميلادى معظم حوائط الكنائس وأقواس النصر بما تميزت به من لمسات فنية جميلة. [3]

وفى بيزنطه أصبحت الفسيفساء من أهم الفنـون المكملـة للعمـارة فـى الكنائس البيزنطية، حيث غطيت بها الأرضيات والجدران والعقود والقباب منذ ان اتخذهـا الامبراطور (قسطنطين) عاصمـة لحكمـه عام 324م. ويعتـبر عصر الامبراطور (جستنيان) 527-565م مـن أزهـى عصـور الفسيفسـاء البيزنطية ، ويظهر ذلك واضحـا فىزخـارف الفسيفسـاء التـى غطـت جـدران

---

(1) Osborn, H. Op. Cit. 1978, p.742.

(2) محمد أحمد حسين : المرجع السابق ، ص 29.

(3) محمد حماد : تكنولوجيا التصوير ، الوسائل الصناعية فى التصوير وتاريخها ، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973، ص 121.

كنيسة (سان فيتال) وكذلك فسيفساء جدران كنيسة (سان أبولينار نوفو) فى رافينا[1] . انظر الصورة رقم (2)

صورة رقم (2) توضح

جزء من فسيفساء زجاجية ترجع إلى العصر البيزنطى . رافينا

هذا وقد بلغ فن الفسيفساء فى أوربا أوج ازدهاره منذ القرن السابع حتى القرنا لثالث عشر الميلاديين بظهور فنانين متميزين أمثال : كافالينى (Cavallini) وروزيتى (Rosuti) وغيرهما. [2] إلا أنه قل استخدام الفسيفساء فى عصر النهضة الأوربية لازدهار نوع آخر من التصوير زهيد التكاليف،

---

(1) نعمتاسماعيل : فنون الشرق الأوسط من الغزو الاغريقى حتى الفتح الاسلامى، دار المعارف ، القاهرة ، 1970، ص 71.

(2) محمد حماد : المرجع السابق ، ص 125.

سريع الانجاز، لايحتاج فى الغالب إلا إلى المصور ، وهو فن التصوير الزيتى. [1]

وقد أسهم العرب أيما اسهام فى زخرفة الجدران والأرضيات بالفسيفساء خاصة فى العصر الأموى (661-750م)، حيث نجد أمثلة رائعة لمثل هذه الزخارف فى قبة الصخرة التى تم بناؤها وزخرفتها عام 691م فى عهد الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان. [2]

أيضا تدل البقايا التى كشف عنها فوق الجدران فى الجامع الأموى بدمشق والذى بنى عام 706م فى عهد الوليد بن عبدالملك على أن أسطح الجدران والبائكات كانت كلها مغطاه بزخارف ومناظر منفذة بالفسيفساء. [3]

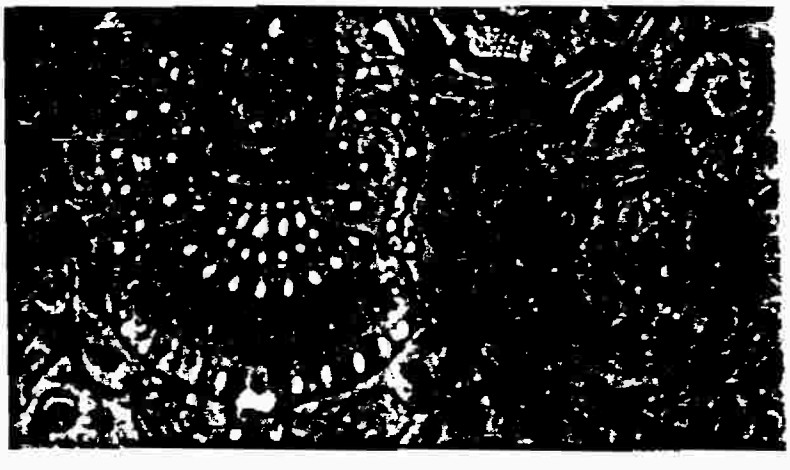

صورة رقم(3) جزء من فسيفساء زجاجية ترجع إلى العصر الأموى . دمشق

---

(1) محمد أحمد حسين : المرجع السابق ، ص 28.

(2) ريتشارد ايتنغهاوزن : فن التصوير عند العرب ، 1974، ص 20.

(3) فريد شافعى : العمارة العربية فىمصر الإسلامية (عصر الولاه)، القاهرة ، 1970، ص 215.

ويلاحظ أن الفسيفساء فى العصر الأموى تأثرت الى حد كبير بالفنون السابقة ، حيث كان العرب يستقدمون الصناع من بيزنطه، الا أن الفسيفساء فى العصر المملوكى (1250-1517م) أصبحت ذات طابع مميز من حيث أسلوب الصناعة والخامات المستخدمة ، حيث حرص الفنان فى العصر المملوكى على إدخال عنصر جديد فى زخرفة الجدران والأرضيات وهو استخدام الفسيفساء الرخامية ، وهى قطع صغيرة من الرخام الملون ، تجمع بجوار بعضها لتكون اشكال زخرفية هندسية غاية فى الجمال والروعة . وفى كثير من الأحيان تكون مختلطة بقطع صغيرة من الخزف زرقاء اللون أو الزجاج أو الصدف. ومن أروع الأمثلة على ذلك فسيفساء قبة السلطان قلاوون[1]

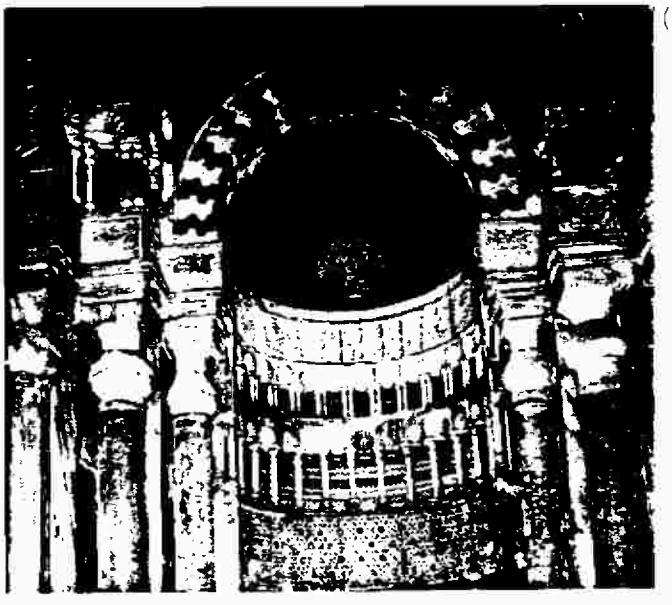

صورة رقم (4) جزء محراب ضريح السلطان قلاوون - العصر المملوكى - مصر

---

(1) ربيع خليفة : البلاطات الخزفية فى عمائر القاهرة العثمانية، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، 1977م ، ص 45.

كذلك استخدمت الفسيفساء الرخامية فقط فى صناعة الفسقيات والأحواض والأرضيات ، مثال ذلك الفسقية المعروضة بالقاعة المملوكية فى متحف الفن الإسلامى بباب الخلق . [1]

وفى بداية القرن الرابع عشر ظهر أسلوب جديد فى زخرفة العمائر فى العصر المملوكى فى مصر وتمثل هذا الأسلوب فى استخدام البلاطات الخزفية المزخرفة فى تكسية قمم المآذن والقباب والجدران الداخلية. [2] إلا أن هذا الفن شاع استخدامه فىالعصر العثمانى[3] (1517-1800م) ويظهر ذلك واضحا فى البلاطات الخزفية بمسجد (المرادية) فى مدينة (بروسه) الذى أنشأه السلطان مراد الثانى عام 1424م. [4]

ويلاحظ أن البلاطات الخزفية مازالت تستخدم حتى الآن فى تكسية الجدران والأرضيات، إلا أن زخارفها - إن وجدت - ليست بالثراء الذى نجده فى مساجد سلاطين آل عثمان أو قصورهم.

أيضا يلاحظ أن الفسيفساء مازالت تستخدم حتى الآن فى تكسية بعض واجهات العمائر والمحلات ومداخل النوادى والفنادق وفى الميادين الرئيسية

---

(1) زكى حسن : دليل المتحف الاسلامى، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، 1952، ص 118.

(2) ربيع خليفة : المرجع السابق ، ص 48.

(3) نعمت اسماعيل : فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1974، ص 229.

(4) محمد أحمد حسين : التصوير الجدارى ودوره فى المجتمع المصرى المعاصر، رسالة دكتوراه ، كلية الفنون التطبيقية ، 1982، ص 78.

والمحطات خاصة محطات مترو الأنفاق فى مصر ، وكذلك فى الحدائق العامة كما فى أرضيات الأرصفه بحديقة الحيوان بالجيزة .

وبذلك نرى أن الفسيفساء أحد الفنون التى استخدمت على مر العصور فى زخرفة الحوائط والأرضيات ، الا أنها تتميز عن الفنون الأخرى بكونها تنفذ على الأرضيات مثلما تنفذ على الجدران، كما أن الخامات المستخدمة فى صناعاتها كثيرة ومتنوعة وأكثر ثباتا من الألوان فى وسائل التصوير الأخرى.